



د. مرسلينا شعبان حسن
محللة نفسية - سوريا
mar-selena@hotmail.com

يعد موضوع النرجسية ، محور مركزي في بنية الشخصية الانسانية المتمثل بعدم فصل الانا عن الجسد.

لتكون بذلك الحالة النرجسية هي الشذوذ النفسي الاكثر انتشاراً عند الانسان المعاصر ، من حيث أن الشخصية النرجسية تهدف من ناحية الى الحصول على القبول والاستحسان والاعجاب ، ومن ناحية أخرى تميل الى التعويض ومشاعرها الداخلية تتمثل في النقص واليأس والحزن ، مما يمزق التكامل الداخلي للشخصية بصورة عامة.

ما يميز قيم الانا في العالم المعاصر يتمثل بالسلطة والنجاح ، اذ ليس من السهل مقاومة اغراء السلطة والنجاح ، وكبت الغرائز ، فمن المحتمل ازاء هذا الاغواء ان تكون هناك خيانة للثقة التي يعلقها الآخرون على الشخص ، او من المحتمل أن يخون الثقة التي يعولها على نفسه.. و يكون من الصعب تحديد الدور الذي يلعبه الاختيار في حياة الانسان.

كما تقول الاسطورة اليونانية : ان نرسييس عندما رأى صورته في المرآة وجد فيها الجمال والتكامل والمثالية ، فحاول أن يلتقط هذه الصورة ويحتويها وكانت من جراء ذلك النهاية الدراماتيكية المعروفة .. حيث كانت نهايته .

ويمكن تفسير دواعي الانتحار ببعدين اثنين :

الاول : عندما تراءت صورة الذات لدى نرسييس أمامه على سطح الماء ، اعتبرها آخر ، مما أثار اعجابه وهيامه بها .

الثاني : عندما تأكد له في مرحلة ثانية ان هذا الآخر ليس الآ هو اي "الانا المثالي" فضل الانتحار وذلك لان العالم انغلق في وجهه وفقد قيمته ، اذ بلغ بذلك النهاية ووقع في فراغ الدافع للإنجاز ..

فمن دون فكرة ان الانا آخر ، لا يمكن ان يرتبط بعلاقات اجتماعية ، ولا يتوقع طلبا من الآخرين لتحقيق مثاله في هذا العالم الذي يتمثل في هذا الآخر ، ليكون الاعتراف به هو من ضرورات الحياة .

من هذا المنطلق ، الفهم النفسي التحليلي للنواة المؤسسة للنرجسية يمكن اجراء العديد من التساؤلات اليوم ، حتى يمكننا ان نحاول تقديم الاجابة النظرية على المعضلات الكبرى التي تتعرض لها بلداننا العربية اليوم من الشام لبغداد الى عدن وصنعاء الى طرابلس الغرب وما بينهما مصر الحبيبة ولن ننسى الجرح الدامي الذي لم يندمل من عقود / القدس واخواتها من المدن الفلسطينية .

فكيف يستباح قتل الابرياء من مدنيين آمنين في بيوتهم ، ومن أين يأتي الاذن والقدرة على ذلك عن سابق تصميم ، والسماح بهذا الفعل من خلال السكوت عليه !!!؟؟؟؟؟؟

على ضوء التحليل النفسي نجد ان الفعل الاجرامي ، يخرج من سياق المنطق والعقلانية ، فلا هو دفاع عن النفس ، ولا هو انتقام من مقاوم ، ولا هو تدمير لبنى تحتية فحسب .

الحالة النرجسية هي الشذوذ النفسي الاكثر انتشاراً عند الانسان المعاصر

أن الشخصية النرجسية تهدف من ناحية الى الحصول على القبول والاستحسان والاعجاب ، ومن ناحية أخرى تميل الى التعويض ومشاعرها الداخلية تتمثل في النقص واليأس والحزن ، مما يمزق التكامل الداخلي للشخصية بصورة عامة

ليس من السهل مقاومة اغراء السلطة والنجاح ، وكبت الغرائز

انه قتل الحياة نفسها ، من حيث ان الضحايا المدنيين من اطفال ونساء وشباب ورجال بمن فيهم الكهولة والشيخوخة .. هذا القتل هو قتل متعدد للطفل الذي يعيش في غياهب الذات لكل منا ، يذكرنا في كل مناسبة بضعفنا وببراءتنا ، بعفويتنا ، بإنسانيتنا وضميرنا الحي الذي نأبى أن يغيب .

فكيف يمكن للقاتل ان يقتل الطفولة مثلا ، من دون ان يقتل الطفل في ذاته هو فيحوله عن روحانيته ووجوده الى ماديته العسكرية .

فبدلا من أن يتماهى بآلته العسكرية التي لا تعرف إلا الدمار واسكات الحياة أينما تجلت ، ليعيش العطرسة والتباهي ..

هذه الشخصية النرجسية للقادة والمنفذين لأعمال البطش ، تلك الشخصية التي لا تنثق بعواطفها ولا تفهم ذاتها ، لأنها تشعر بأن شخصيتها كماهي ، لا يمكن مقارنتها بما يجب ان تكون عليه .

فعندما نكون غير واثقين بأنفسنا ، لا يمكننا ان ننثق بالآخرين ، وبدون ثقة بأنفسنا لا يمكننا ان ننثق بالطبيعة ، حينها تبرز الانا حاجتها للسيطرة على الحياة ، كقوة غاشمة ، اذ تعتبر الانا قوة ابداعية ، ولكنها في الوقت نفسه تصبح تدميرية اذا لم تكن مرتبطة بالواقع ومتجذرة في الجسد .

من حيث أن الاعجاب بهذه الذات يتجلى بحضور اجتماعي سمته الانغلاق على الذات ، وفقد للقيمة التي يراها الشخص في عيون الآخرين عبر العلاقات الاجتماعية .

ومن كون الحاجة للاعتراف بالشخص من الآخرين ، هي ضرورة من أهم الضرورات ، لأجل ذلك فإن التذبذب في العلاقات يظهر على نحو مميز بين الإفراط في المثالية ، وما بين تبخيس الذات (حب الله ، 2015).

من الثابت أن يكون حب الشخص في بداية الطفولة مركز على الام ، وعندما يكبر الطفل قليلا تتوزع دائرة ذلك الحب على الآخرين المقربين له الأم والاب والاخوة وهكذا ... فيبدأ الطفل يتعرف على نفسه ، وعلى هويته وعلى ذاته ، عن طريق المرأة الأم يلتفت إليها لينتزع منها اعترافاً ، بأن هذه الصورة المنعكسة من المرأة هي صورته هو ، فالطفل لا يمكن أن يرى نفسه إلا بانعكاس صورته في أعين الآخرين ، وقد تبالغ الام او الاب في المدح ، والثناء على الطفل لجماله ، او بتفوقه وابداعه في مجال معين ، ويظل يتأمل في المرأة مفتوناً بصورته فتتضخم ذات الطفل ، ويشعر بحب كبير لذاته ، ويعجب ويفتخر بها ، ويرى انه افضل من الآخرين..

ان البحث حول الذات بمستوياتها الواعية واللاواعية الناضجة المؤكدة ، وحول الذات غير المتوافقة ، موضوع له بالغ الأهمية في نظرية التحليل النفسي .

فقد أخذ فرويد أسطورة نارسيوس (نرجس) من أعمال شاعر الاغريق "أوفيد" ثم بنى عليها فكرته عن حب الذات بصورة قاتمة ..

تنقسم فكرة "فرويد" عن النرجسية إلى شقين:

النرجسية الأولية : الذي يراها "فرويد" بأنها جانب ضروري في نمو الأنا ترتبط بالعناصر الغريزية في النفس ، ويتوقف نموها على طبيعة العلاقات مع الآخرين.

النرجسية الثانوية : ومعناها التفسخ المرضي للأنا المرتبط بإدراك المرء لذاته .

وفي حالة الكآبة السوداوية يتحول احباط الفرد من كونه يبدأ بإدراكه بأن الحب المطلق أمر مستحيل . هذا الإحباط يتحول إلى انشغال تام بموضوع الحب الضائع أو بالانا المتعلقة به ، أو

من دون فكرة ان الأنا آخر ، لا يمكن ان يرتبط بعلاقات اجتماعية ، ولا يتوقع طلباً من الآخرين لتحقيق مثاله في هذا العالم الذي يتمثل في هذا الآخر ، ليكون الاعتراف به هو من ضروراته الحياة

كيف يستباح قتل الأبرياء من مدنيين أميين في بيوتهم ، ومن أين يأتي الأذن والقدرة على ذلك من سابق تصميم ، والسماح بهذا الفعل من خلال السكوت عليه !!!!!!

على ضوء التحليل النفسي نجد ان الفعل الإجرامي ، يخرج من سياق المنطق والعقلانية ، فلا هو دفاع عن النفس ، ولا هو انتقام من مقاوم ، ولا هو تدمير لبنى تحتية محسب

كيفه يمكن للقاتل ان يقتل
الطفولة مثلا ، من دون ان
يقتل الطفل هي ذاته هو
فيحوله عن روحانيته ووجوده
الى ماديته العسكرية

عندما نكون غير واثقين
بأنفسنا ، لا يمكننا ان نثق
بالآخرين ، وبدون ثقة بأنفسنا
لا يمكننا ان نثق بالطبيعة

من كون الحاجة للاعتراف
بالشخص من الآخرين ، هي
ضرورة من أهم الضرورات ،
لأجل ذلك فإن التذبذب في
العلاقات يظهر على نحو مميز
بين الإفراط في المثالية ، وما
بين تبخيس الذات (حب الله ،
2015).

ان البحث حول الذات
بمستوياتها الواعية واللاواعية
التأجبة المؤكدة ، وحول
الذات غير المتوافقة ،
موضوع له بالغ الأهمية في
نظرية التحليل النفسي

بالمثال المرتبط بفكرة الموت المجسد، حينها تبدأ الأنا العليا الحاكمة في إنزال العقاب بالانا .

لكن ما نجده أن الكتاب المعاصرون ينقسمون في الرأي حول النرجسية الثانوية، من خلال الطرح التالي : هل تعمل النرجسية الثانوية عمل النقد الموجه لمركزية الأنا ؟ أم أنها نموذج للمطالب الطفولية في الثقافة المعاصرة، وفي سياق النسوية تعتبر الأنا والقدرة على الفعل فكرتين سياسيتين هامتين، بينما يعتبر الانغماس بالهوية نوعاً من أنواع التسلط .

ما يبدو على النرجسيين أنهم واثقين من أنفسهم في الظاهر، ولكن في الباطن فإنهم قلقون ولا يشعرون بالأمان. تناقش النرجسية عادة في علاقتها بالأفراد ولكن لها مضامينها الاجتماعية والسياسية ، ويمكن أن توجد في الجماعات أيضاً.

لقد اقترح " فرويد" أن الأفراد يمكن أن يركزوا اهتمامهم وطاقتهم (وبصفة خاصة الطاقة الشهوانية أو الجنسية) في أي من الاتجاهين ، سواء كان تجاه العالم الخارجي أو تجاه النفس .

فعندما نكون صغار ، نركز طاقتنا وجهدنا على أنفسنا ، وكلما نتقدم في العمر والخبرة ، نتعلم أن نعيد توجيههما في جميع الأحوال إلى الخارج.

يقترح بعض علماء النفس أن جذور النرجسية تنمو عندما يتراوح سن الأطفال من 18 شهر حتى 3 أعوام ، حيث يقولون : أنه إذا لم يسمح للطفل في هذه المجموعة العمرية أن ينمي هويته الشخصية ، وفي حال يتم الاعتداء عليه لفظياً وانتقاده من والديه فسيشعر بأن هناك خطأ ما ، وعليه سيني بعض نماذج نرجسية للسلوك (التكبر) ، وإحساس مختال بالتفوق لحماية نفسه/ نفسها من مشاعر القصور.

تعد الشخصية الإنسانية مزيجاً من مجموعة من الخصائص الجسمية والنفسية سواء اكتسبها الفرد أو توارثها ، بالإضافة إلى كونها أيضاً مزيجاً من الدوافع والميول والاستعدادات ، والقدرات والعواطف والأحاسيس والعقل والعادات والتقاليد ، ودراستنا للشخصية الانسانية تساعدنا في الوقوف على الجوانب السوية واللا سوية بها ، وكذلك معرفة المؤثرات الداخلية والخارجية التي تؤثر فيها (أنماط الشخصية، 1976) .

إن الشخصية هي الأساس في دراسة الجوانب النفسية عند الأفراد، وجميع الخصائص النفسية موجودة لدى جميع الأفراد ، ولكنها تختلف من فرد لآخر في كمها وكيفها ، وأي ظاهرة نفسية هي محصلة لذلك ، والتطرف في أي ظاهرة سواء أكان بالزيادة أو النقصان، يوجد لدى فئة قليلة ، والنرجسية مثلها مثل هذه الظواهر .

وعليه فقد نال البحث حول ظاهرة النرجسية اهتماماً كبيراً من علماء النفس والاجتماع لما تتصف به من تعقيد وغموض، وكثيراً ما قد نتعامل مع بعض الشخصيات التي قد نجدها نتكلم عن ذاتها بشكل لافت للنظر، محبة لذاتها بطريقة مرضية.

ووفقاً لما أورده الدليل التشخيصي الإحصائي الرابع (DSM- IV) الصادر عن جمعية علم النفس (APA, 2000) فإن صاحب الشخصية النرجسية لديه إحساس متضخم بالعظمة ، ويعتقد أنه فريد من نوعه، ولديه إحساس بالتأهيل وتوقعات بأفضلية الاستحقاق، و لديه الانشغال الدائم بخيالات النجاحات غير المحدودة والقوة والتألق والجمال ، ولديه الميل للاستعراض والرغبة في لفت الانتباه إليه ، والتلذذ بالمديح ، كما لديه غرور وتسلط ، وافتقار للتعاطف مع الآخرين ، إذ في أغلب الأحيان نجده حاسد للآخرين ، كما أنه قد يشعر أن الآخرين حاسدين له (طعمة ، 2009) .

هل تعمل النرجسية الثانوية
عمل النقد الموجه لمركزية
الأنا؟ أم أنها نموذج للمطالب
الطوفانية في الثقافة
المعاصرة

ما يبدو على النرجسيين أنهم
واثقين من أنفسهم في
الظاهر، ولكن في الباطن
إنهم قلقون ولا يشعرون
بالأمان

تعد الشخصية الإنسانية مزيجاً
من مجموعة من الخصائص
الجسمية والنفسية سواء
اكتسبها الفرد أو توارثها ،
بالإضافة إلى كونها أيضاً
مزيجاً من الدوافع والميول
والاستعدادات ، والقدرات
والعواطف والأحاسيس
والعقل والعادات والتقاليد

دراستنا للشخصية الإنسانية
تساعدنا في الوقوف على
الدينامية السوية واللا سوية
بها ، وكذلك معرفة
المؤثرات الداخلية والخارجية
التي تؤثر فيها

أضاف عالم النفس (روزنثال 2005, Rosenthal) ، أن النرجسي يحتقر الآخرين ويستخف بهم ،
ولديه حساسية مفرطة تجاه النقد ، ويعتقد أن لديه قوة خارقة ، ويتحدث عن ذاته بالتباهي والمفاخرة
والمغلاة، و يعتقد أنه شخص عظيم، عبقرى، مخترع، وعندما يتحدث النرجسي عن نفسه يحول
الأعمال التي يقوم بها إلى إنجازات عظيمة ، كما أن النرجسي له سحر وحضور خاص في الحدث ،
وله أسلوب خاص يجذب من حوله وينغمس في المزاح ، وإن كان سطحياً (هلسا ، 2009) .

الشخصية النرجسية المرضية والشخصية النرجسية السوية .

أما النرجسية الباثولوجية: Pathological Narcissism فتمثل الجانب اللاسوي من النرجسية
حيث البحث عن إرضاء الذات ، وليس إرضاء الآخرين ، حيث العمل على تجميل تلك الذات
وإعطائها ما لا تستحق، فعشق النفس المبالغ فيه يُعدّ أخطر شيء قد يقع المرء فيه ، فإن أحب الانسان
ذاته إلى الحد المرضي تحول إلى إنسان أناني ، لا يفكر بأي شيء سوى نفسه ، سلوكه وصولي
استغلالي ، وشهوة المنصب والسلطة تملكه ، هذه الشهوة التي من خلالها يستمد قوته ، وعن طريقها
يستطيع أن يتحكم في الآخرين ، بل والأكثر من ذلك قد يعشق المرء ذاته إلى الحد الذي يصاب فيه
بداء العظمة التي تجعله يصدق أنه الأقوى ، والأجمل والأذكى والأفضل وأن الآخرين أقل منه قوة ،
وجمال ونقاء ولذلك يبيح لنفسه استغلالهم والاستهزاء بهم ، وقد يصل الأمر إلى التحقير من شأنهم.

أما الجانب السوي من النرجسية ، أو ما يسمى بالنرجسية السوية أو الصحة Normal
Narcissism .

وقد أشارت كل من (إجلال فاروق 1994) و(منال عبدالخالق، 2005) أن النرجسية السوية
تترادف مع الصورة الداخلية للذات باعتبارها ثابتة، ومستقرة، ومتناسكة وتترادف مع الطاقة النامية
لاسترخاء الذات ،

فالنرجسية السوية تمثل الوجه الإيجابي الذي ينطوي على استبصار سوي بالذات ، واستثمار
الشعور بالكفاية الذاتية ونضج ونمو في الشخصية وشعور بالحيوية وثورة وحماس وانبساطية ،
ومهارات اجتماعية وحب للمعرفة واهتمامات عقلية ، وابتكارية وطموحات سوية ، وتوكيدية مرتفعة.

ان درجة السواء في الشخصية الانسانية ، تتحدد الى حد ما بقدره الذات على التعامل مع
الصراعات الشعورية وغير الشعورية في الشخصية ، وفي السير قدما في الحياة بإيجابية وفعالية ،
فالشخصية السوية هي الشخصية التي تتميز بالقدرة على ضبط الذات ، وتوجيهها وتحمل المسؤولية
الذاتية والمسؤولية الاجتماعية .(رولوماي ،23) .

وعليه وجد في عدة دراسات أن النرجسية لديها ارتباط بتقدير الذات حيث أرجع البعض إلى وجود
روابط بين نرجسية الفرد وتقديره لذاته ، فقد أشار البعض إلى أنه حينما يكون للإنسان تقدير للذات
مبالغ فيه يقع في دائرة النرجسية المرضية ، أو بشكل أخص النرجسية الظاهرة ، وحينما ينخفض
تقدير الفرد لذاته يقع في دائرة النرجسية الخفية ، وهناك من يرى أن النرجسية المرضية بشكلها عام
بشكله الظاهر ، والخفي ترتبط بتقدير الذات المنخفض ، لأن من يكون لديه تقدير ذات منخفض يلجأ
إلى النرجسية لتكون هي الغطاء التي تحمي به ذاته الهشة.

تعريفات مختلفة للنرجسية ، توضح أبعادها الخاصة والعامة

لقد أثارت الشخصية النرجسية اهتمام الكثير من الباحثين في العلوم النفسية والاجتماعية وذلك لما
تتصف به من تعقيد وتعدد في الأبعاد ، ومازالت هذه الشخصية يدور حولها الكثير من الجدل ،
ويدور حولها الكثير من الغموض مما دفع الباحثة "آمال أباطة " إلى القيام بدراسة النرجسية وخاصة

عند طلاب الجامعة ، فقد أشارت الباحثة "آمال أباطة" عام دراسة لها عام (2000) أن النرجسية تصل إلى أقصاها فيما بين (30/18) عام وتقل في منتصف العمر، ولما كان تقدير الذات والعدوان من أحد المتغيرات التي نالت اهتماماً كبيراً من قبل الباحثين فإن الدراسة الحالية تستهدف بلورة العلاقة بين هذه المتغيرات من أجل مزيد من الفهم للشخصية الإنسانية.

وترى الباحثة أن تقدير الذات هو اللبنة الأساسية التي يقوم عليها البناء النفسي لتلك الشخصية ، و التي قد تؤدي بالشخص إلى تحقيق الذات ومن ثم تحقيق جودة حياته والتي تنعكس في علاقته بالآخرين وبالمجتمع والبيئة من حوله أما العدوان فقد أصبح مشكلة العصر ، وعليه نجد أن بعض الدراسات أشارت إلى العلاقة ما بين النرجسية وتقدير الذات والعدوان.

- كما ترى أن أشكال النرجسية هي التي تختلف في مدى ارتباطها بتقدير الذات والعدوان ، فهناك النرجسية السوية والنرجسية المرضية والتي تتمثل في النرجسية الظاهرة والنرجسية الخفية ، فكل شكل من أشكال النرجسية له مميزات تختلف عن الآخر ، وبالتالي ستختلف في طريقة ارتباطها بكل من تقدير الذات والعدوان . ومن هنا يمكن تحديد المشكلة في حسم العلاقة ما بين النرجسية وتقدير الذات والعدوان .

أما عبد الرقيب البحيري (النرجسية : ص154) فيرى أن النرجسيين يمرون بخبرات تقدير الذات المرتفع أو المنخفض على التوالي معتمدين على الأحداث الخارجية فتقدير الذات اليومي للشخص النرجسي مرتبط بشكل كبير بمدى سلبية أو إيجابية التفاعل ، والعلاقات الاجتماعية ومرتبطة بالمدى الذي يجعلهم يحبون أنفسهم والمدى الذي يجعلهم مقبولين من قبل الآخرين عن طريق التفاعل الاجتماعي ، وعندما يرتبط تقدير الذات لدى الفرد ارتباطاً وثيقاً بالتغذية الراجعة الاجتماعية ، فإننا نتوقع تقلبات مزاجية أكبر بصفة عامة.

كما حدد الدكتور عبد الرقيب البحيري (النرجسية : ص 11) المظاهر النرجسية التي تؤدي إلى سوء التوافق النفسي هي :

- الرغبة في استغلال الآخرين.

- الرغبة في النظر إليه على أنه صاحب حق.

- الحاجة إلى الحصول على الاهتمام والاعجاب.

وتلك المظاهر تؤدي إلى سوء التوافق وتكون مصدراً للتنبؤ بالسلوك العدواني والسلوك المضاد للمجتمع ، والذي امتدت مظاهره لتشمل المجتمع بأسره ، فقد تعددت أشكال العدوان بين المجتمع بشكل لافت للنظر ، حيث باتت أحداث العنف والبلطجة والعدوان منتشرة في كل مكان وفي كل حين. الدكتور "مجدي الدسوقي" (2004) عرّف تقدير الذات : بأنه تقدير عام يضعه الفرد لنفسه وبنفسه متضمناً الإيجابيات التي تدعو لاحترام ذاته والسلبيات التي لا تقلل من شأنه بين الآخرين، وكلما ارتفع تقدير الفرد لذاته كلما كان الفرد ناجحاً من الناحية الاجتماعية ..

أما حب الانسان لذاته بالمعنى الاجتماعي لا يعني عشق الذات ، ومظاهر حب الانسان لذاته ، يعني ان يحب الحياة ، وكل ما هو حي . لا يمكننا محبة شخص ما حياً حقيقياً، إلا اذا كنا لا نحب أنفسنا ، فبدون حب الانسان لنفسه يكون الانسان قادراً على الأخذ ، ولا يمكنه ان يعطي أي شيء بالمقابل (سيكولوجية الجسد، 246)

أما الباحثة "آمال أباطة" فقد خلصت الى تعريف اجرائي للنرجسية بأنها :

صاحب الشخصية النرجسية لديه إحساس متضخم بالعظمة ، ويعتقد أنه فريد من نوعه، ولديه إحساس بالتأهيل وتوقعاته بأفضلية الاستحقاق

أن النرجسي يحتقر الآخرين ويستخف بهم ، ولديه حساسية مفرطة تجاه النقد ، ويعتقد أن لديه قوة خارقة ، ويتحدث عن ذاته بالتباهي والمفاخرة والمغالاة

عشق النفس المبالغ فيه يُعدّ أخطر شيء، قد يفتح المرء فيه ، فإن أحب الانسان ذاته إلى الحد المرضي تحول إلى إنسان أناني ، لا يفكر بأي شيء سوى نفسه ، سلوكه وصولي استغلالي ، وشموية المنصب والسلطة تتملكه

- النرجسية Narcissism : أنها حب الذات أو عشق الذات متفاوتة في حدتها ما بين السوية إلى المرضية ، فحينما يكون هناك احترام وثقة بالذات واستثمار قوتها بحيث تدفعها الطموح والإنجاز والنجاح تكون نرجسية سوية، إما إذا تحولت إلى عشق مرضي وحب مفرط للذات مع الشعور بعظمة ما يملك الفرد من قدرات ومواهب، وحب النظر إليه بإعجاب وعلى كونه إنسان فريد من نوعه ، وأن الآخرين قد خلقوا لتلبية طلباته ، وكذلك استغلاله لعلاقاته مع الآخرين بهدف تحقيق مصالح شخصية بغض النظر عن مشاعر الآخرين وفقدان التعاطف معهم والسعي للسلطة والمناصب وتولد مشاعر الغيرة ، والشك وحسد الآخرين تحولت إلى نرجسية مرضية واضطراب نرجسي.

النرجسية وفق "معجم مصطلحات التحليل النفسي" : هي الحب الموجه إلى صورة الذات ، استناداً إلى اسطورة نرسيس اليونانية المشار إليها سابقاً ..

والنرجسية أو حب الذات ، تعني تضخم مفهوم الذات ، عند الشخص والافراط بالاعتداد بها فيعجب بنفسه ، وبقدراته وصفاته و ... و... إلخ . وعلم النفس بشكل عام ، والطب النفسي بشكل خاص له اهتمام بالنرجسية دون سواهما من العلوم ، حيث يرجع اهتمام علم النفس بالنرجسية الى عام 1905 ، من قبل العالم الشهير "فرويد" ففي عام 1914 نشر فرويد مقالة عنوانها (مقدمة في النرجسية) وصف النرجسية بمعاني عديدة منها:

1- انها مرحلة انتقالية لحب الذات وشذوذ وانحراف

2- ونمط لاختيار الموضوع

3- ومن اشارات "فرويد" للشخصية النرجسية أنها حب الذات المبالغ فيه ، حيث اعتبر "فرويد" أن النرجسية حالة أولية سابقة على تشكل الأنا ، فأوضح أن النرجسية الأولية تشير : إلى غياب العلاقة مع الموضوع ، التي تتميز بحالة اللا تمايز ما بين الأنا والهو ، ويمثل النوم استعادة لها ، ونجد ذلك موضعاً في كتاب علم النفس الجماعي ، والتحليل النفسي للانا ، الذي ترجمه العلامة المصري المحلل النفسي "سامي علي" .

وقد أكد الكثير من المحللين النفسيين بأن النرجسية الأولية ، هي مرحلة مبكرة تتوسط العشقية الذاتية ، وحب الموضوع وتتميز بظهور الالتباسية الأولى للانا .

إن اكتشاف النرجسية أدى "فرويد" إلى طرح وجود مرحلة وسطية من التطور الجنسي ما بين الغلظة الذاتية (المرحلة ما قبل نمو اللغة ، وبين محبة الموضوع) ..

إن مفهوم النرجسية Narcissism وفقاً لرؤية مصطفى صفوان الذي عبر عنها في مقال له حول شخصية الجانح ، من خلال التركيز على ان التركيب النرجسي للعلاقة بالآخر الذي يتضمن معاني ثلاثة هي :

- معنى العزلة

- معنى الانغلاق

- معنى الموت

نرسيس يعشق صورته ولكنه بذات الوقت يمقتها لأنها تشبهه ، ولكنها ليست اياه او هو ليس اياها (صفوان ، شخصية الجانح ، 1958).

الأكثر من ذلك قد يعشق المرء ذاته إلى الحد الذي يصابه فيه بداء العظمة التي تجعله يصدق أنه الأقوى ، والأجمل والأذكى والأفضل وأن الآخرين أهل منه قوة ، وجمال وذكاء ولذلك يبيع لنفسه استغلالهم والاستمراء بهم ، وقد يصل الأمر إلى التحقير من شأنهم

النرجسية السوية تمثل الوجه الإيجابي الذي ينطوي على استبصار سوي بالذات ، واستثمار الشعور بالكفاية الذاتية ونضج ونمو وفي الشخصية وشعور بالحيوية وثورة وحماس وانبساطية

ان درجة السواء في الشخصية الانسانية ، تتحدد الى حد ما بقدرة الذات على التعامل مع الصراعات الشعورية وغير الشعورية في الشخصية ، وفي السير قدما في الحياة ايجابية وفعالية

أما النرجسية عند "جاك لاكان" فيعرفها بأنها : عبارة عن امتلاك صورة الشخص عن ذاته على غرار الآخر الذي هو الأنا تحديداً ، ولقد أقام "جاك لاكان" الصلة ما بين هذه اللحظة الأولى من تكوين الأنا وبين تلك التجربة النرجسية الأساسية ، التي يطلق عليها اسم مرحلة المرأة .

استناداً الى هذا المنظور تعرف الأنا من خلال التماهي بصورة الآخر ، بل تشكل استخدالاً (Interiorisation) للعلاقة معينة ، حيث لا تبدو المرحلة النرجسية كمرحلة تطويرية ، بل كحالة احتباس للبيبدو ، لا يمكن لأي توظيف في الموضوع أن يتجاوزها أو يفرغها تماماً ، ليصبح الأنا في النرجسية بكلية موضوعاً للحب ، وبناء على توصيف "فرويد" نجد أن الشخصية النرجسية ، تتميز بالتعرج والنقص في التعاطف وفرط الحساسية تجاه الآخرين ، فالنرجسيون لا يستطيعون تقبل آراء الآخرين بأي شكل من الأشكال ، دون أن يتركوا الآخرين يلاحظون ذلك ، فنجدهم يسفهنون بشكل غير مباشر من آراء واقتراحات الآخرين ، بل ويدعون أنهم يعرفون ما يفكر به الآخرين ، وأنهم ليسوا بحاجة إلى محاضرات الآخرين .

"فرويد" توصل في أبحاثه حول النرجسية إلى اقامة التعارض الاجمالي ما بين الحالة النرجسية الأولى "حالة اللا موضوع" وبين العلاقات مع الموضوع ، وتتصف هذه الحالة البدائية التي يطلق عليها عندها اسم النرجسية الأولية ، بالغياب الكلي للعلاقة مع المحيط ، وبحالة من اللا تمايز التام ما بين الأنا والهو .

وتجد هذه الحالة نموذجها الأول في الحياة الرّحمية ، والتي يمثل النوم استعادة لها تتفاوت في درجة كما لها .

أما فكرة النرجسية التي تعاصر تكوين الأنا من خلال التماهي مع الآخر ، التي لم تهمل كلياً بما يسمى النرجسية الثانوية المسحوبة من الموضوعات ، ليكون الأشخاص الذين يعانون من اضطرابات نرجسية في الشخصية ، غالباً ما يمتلكون مشاعر مهزوزة بالذات ، غير واثقين من أنفسهم داخلياً ، ويبالغون نحو الخارج بإظهار تقّتهم الكبيرة ، ويعتبرون آراء الآخرين حولهم مهمة جداً لهم ، فهم يسعون دائماً لمعرفة ماذا يفكر الآخريين حولهم ... الخ . وهم يستجيبون لأقل نقد سلبي بالغضب أو بمشاعر من المهانة أو الإذلال ، وينتظرون الفرصة المناسبة لرد ابسط النقد بشكل جارح ومضاعف للنقد الموجه لهم ، والمشكلة هنا أنه يصعب معرفة ، ما هو الرأي الذي يعتبرونه سلبياً ؟ وما الرأي الذي يعتبرونه إيجابياً ؟ فهم ينظرون للأمر من منظار نرجسيتهم الخاصة (حب الله ، 2009) .

وغالبا ما يسعون من أجل الحصول على إطراء ، ومديح الآخرين بشكل مباشر أو غير مباشر، إذ يميل النرجسيون نحو إعطاء قيمة عالية لأفعالهم وأفكارهم ، والبحث عن المثالية في آرائهم ، أو بدائل آرائهم من حيث المركز والعتاء ، إذ يعتقد النرجسي من أن الكمال يميز كل تصرفاته ، فينتابه الغرور والتكبر على الآخرين ومن ثم احتقارهم .

كما يتميز النرجسيون باللامبالاة الباردة ، أو المشاعر المميّزة للحق والتّونية ، وتبرز الضّحالة كسمة بارزة في سلوك النرجسي ، ويتجلى ذلك في استجابتهم للنقد بانفعال مبالغ به .

لكل ذلك ، غالباً ما تعاني علاقات الأشخاص النرجسيون الإنسانية من سلوكهم هذا بأي موقع وجدوا به ، فنجدهم حاسدين للناس الذين يعتبرونهم أكثر نجاحاً منهم ، ويضعون في طريقهم العراقيل ، إذا ما أحسو أنهم أكثر نجاحاً ، ويسفهنون آرائهم ، ويقللون من قيمتها وأهميتها ، أو يشككون بنوايا الآخرين وأهدافهم .

النرجسي يميل لاستغلال الآخرين ، ويستعملهم وسيلة لتحقيق أهدافه الخاصة ، بالإضافة إلى ذلك

أن تقدير الذات هو اللبنة الأساسية التي يقوم عليها البناء النفسي لتلك الشخصية ، والتي قد تؤدي بالشخص إلى تحقيق الذات ومن ثم تحقيق جودة حياته والتي تنعكس في علاقته بالآخرين وبالمجتمع والبيئة من حوله

المظاهر النرجسية التي

تؤدي إلى سوء التوافق

النفسي هي :

- الرّغبة في استغلال

الآخرين .

- الرّغبة في النظر إليه على

أنه صاحب حق .

- الحاجة إلى الحصول على

الاهتمام والاعجاب

أما حب الإنسان لذاته

بالمعنى الاجتماعي لا يعني

عشق الذات ، ومظاهر حب

الإنسان لذاته ، يعني ان يحب

الحياة . وكل ما هو حي

فإنه قلما يكون متعاطف مع الآخرين أو حساس لهم ، ويمكنه أن يمتلئ بالغيظ والغضب على أي شخص لمجرد أن له رأيه الخاص ، أو لا يريد أن يكون تابعاً له أو يدور في فلكه ، فيتم استغلال العلاقات بين الأشخاص ، كالاستفادة منهم في إشباع رغباته أو تعظيم ذاته ، وعدم الاكتراث بالتكامل الشخصي لديه ، وحقوق الناس الآخرين في مبادلة الاهتمام والتقدير ..

، ولكن هذا الشعور تجاه الآخرين ، يسبب لذلك مشكلات كثيرة في الطفولة ، تنعكس بآثارها سلباً على الطفل نفسه و مستقبلاً على المجتمع من جراء سلوك بعض أفرادها ، من جراء هذا التكوين النفسي .

ولما كانت حياتنا النفسية تتشكل بكل تفاصيلها الخاصة والعامة وتشعباتها وحالاتها المفرحة والمحزنة ، وملاهيها ، وشيطنتها ، تتكون عبر العلاقة بالموضوع "موضوع الحب المركزي الاول " العلاقة بالأم وبدائل هذه العلاقة ، حيث من خلال استقرار هذا المسار يمكننا تحديد سواء النفس ولا سوائها ، وفقاً للمنهجية النفسية التحليلية ، وذلك لأن التحليل النفسي هو العلم الذي يدرس تحولات الطاقة وتغيراتها المتبادلة في صميم الشخصية ، إذ تبعا لرؤية "فرويد" تتضمن الدوافع شكلاً أساسياً من أشكال الطاقة سماه "الليبدو" حيث أن مصطلح الليبدو : استخدامه هنا للإشارة إلى الطاقة النفسية الخاصة بالدوافع الأولية الفموية والجنسية أو دوافع العدوان) ومفهوم الطاقة لدى فرويد لا يتوجه نحو تفسير ظواهر من قبيل الانهك الذهني أو التقلبات في النشاط والحيوية وما شابه ذلك " ولكن يستخدم لإيضاح التبدلات الحاصلة في الانتباه والاهتمام والتعليقات الخاصة بهذا الموضوع أو في السعي الناشط نحو ذلك ، إذ يجري استثمار مقدار معين من الطاقة "كوانتا" في التوظيفات والتماثلات الذهنية للموضوعات ، هذه "الكوانتا" هي التي تتباين في حركتها واستقرارها ..

وكون واقع الحال عند النرجسي ، يتميز دائماً بغياب الاهتمام بالعالم الخارجي ، فهو يظن نفسه يعلم كل شيء ، و ما لديه من مخزون علمي ، وثقافي هو نهاية العالم الخارجي ، فهو يظن نفسه يعلم كل شيء ، و ما لديه من مخزون علمي ، وثقافي هو نهاية العلوم ، إذ تبعاً لذلك تتحول (الأنا) عنده من حالتها الطبيعية الى حالتها المرضية المتضخمة كتابوت مؤطر ، لا يشعر بها صاحبها أنها كذلك ..

وفي سياق هذا المنطق لابد اذا من اسباب لاعقلانية ، تستتر عن منظورنا للقتل ، وتحرك هذه الآلة العسكرية الهمجية بمسميات مختلفة بدءاً من اسرائيل الى ما تفعله قوى عسكرية و قوى مسلحة مختلفة على ارضنا السورية يصعب الآن حصرها ، ونجدها فاعلة متباهية في امتلاك القوة والمباهاة بالقتل في هذه المنطقة كل ذلك باتجاه القتل العشوائي وتدمير كل ما بني من سنين طويلة في هذه الحضارة التاريخية البعيدة ..

هذا العنف من الصعب فهمه الا من خلال التعمق والتأمل في ثقافة نرجسية مستوحاة من وصايا دينية وايدولوجية تأتي من مصادر مختلفة تحلل الثأر بالقتل بأفطع الوسائل ، فتبيح قتل النساء والطفولة ، و تعبت في كل شيء حي ، على مثل نموذج التوعية التوراتية بخصوص بابل كنموذج للعداء والثأر : ابنة بابل يجب ان تفني بمن يستطيع ان يلحق بك الشرور التي كنت تضميرينها ، وسعيد من يمسك اطفالك ويهمشهم على الصخر .

" اكنسوها بمكنسة الهلاك " اشعيا/23/14

مما هو ثابت حول الاستراتيجيات العسكرية في الحروب ، أن الحرب يتحكم بها أفكار او معتقدات دينية تسيطر على مسلك الرجال ، وتسبب خلال ما ترفضه في حالة السلم (حب الله ، 2009) .

هذا العداء يتحرر من كل علاقة او قيم انسانية ، لكي تشغل الآلة العسكرية في خدمة الموت

أحد الكثير من المعلقين النفسانيين بأن النرجسية الاولى ، هي مرحلة مبكرة تتوسط العشقية الذاتية ، وحب الموضوع وتتميز بظهور الالتباسية الأولى لنا

أما النرجسية عند "جك لان" فيعرفها بأنها : عبارة عن امتلاك صورة الشخص عن ذاته على حرار الآخر الذي هو الأنا تحديداً

بناء على توصيفه "فرويد" نجد أن الشخصية النرجسية ، تتميز بالتعجرف والنقص في التعاطف وفرد العساسة تجاه الآخرين

يميل النرجسيون نحو إعطاء قيمة عالية لأفعالهم وأفكارهم ، والبحث عن المثالية في آباءهم ، أو بدائل آباءهم من حيث المركز والعتاء ، إذ يعتقد النرجسي من أن الكمال يميز كل تصرفاته ، فينتابه الغرور والتكبر على الآخرين ومن ثم احتقارهم

thanatos ويسجل انتصار ليس على العدو فقط انما على اطفاء شعلة الحياة eros لدى كلا طرفي الصّراع .

من حيث ان الحروب الديّنية حافلة بحصول اكبر الفظائع واشد انواع التّكيد ، واستباحة كل محرمات القتل . اذ كل انواع القتل تدخل في اطار القربان "دبائح انسانية تقدم على مذبح الهيكل الالهى" .

والمثال الساطع على هذا الواقع ما فعلته اسرائيل وتفعله على الدوام وما تفعله "داعش" وغيرها من التنظيمات التي تقاوم باسم الدين .

من الأمثلة الساطعة أن التاريخ اليهودي حافل بمثل هذه الاحداث ، فعندما كانوا يحاصرون بلدا : يأمرهم ملكهم بقتل الرجال اولاً ، ثم النساء ، ثم الاطفال ، وبعدها ينتقل الى الحيوان واخيرا الى النبات ، لكي تتم عملية التظهير العرقي ، وحماية المقدس من كل تلوث خارجي .

وحتى في بعض المعارك ، ان حصل وخالف الجنود اليهود المقاتلون وصايا قائدهم ، وضاجعوا نساء من غير دينهم ، فقتل جميع النساء حتى لا تحبل ، كي لا يتلوث العنصر اليهودي المقدس . وهذا مقارب لم تفعله داعش بالنساء السبايا من غير المسلمين ..

من يطلع على التاريخ اليهودي يتبين له ان الدين هو في آن واحد هوية عرقية وذاتية وانتماء وطني ، فلا فصل بين الاثنين ، خلافا لكل الاديان ولكل الاوطان .

هذا المعتقد السائد بأن اليهود هم شعب الله المختار ، اضحى عبر التاريخ سجننا نرجسيا يميزهم عن كل الشعوب ويمنحهم حقوقا مزدوجة .

يحق لهم مالا يحق لغيرهم ، وللمجتمع العالمي واجب تجاههم دون ان يطلب منهم شيئا في المقابل .

فأينما حلوا ، كانوا يتميزون عن الشعوب المضيفة ، ويشكلون نواة تصبح بمثابة جسم غريب ، لأن الاندماج أو الذوبان يشكل نهاية هذه الأفضلية التي اعتبروها هبة الهية .

وكان لهذا المعتقد النرجسي تداعيات في المجتمعات الغربية أدت الى العديد من المآسي يجب ان يصبح قادراً على تحسسه معاناة الغير وأكثر انسانية تجاهه . ولكن ما يفاجئنا بحرب غزة والحروب التي سبقتها ، بأنه يتماها بالطاغية كان يضطهدهم ان يتماها بالضحية التي كان يحتل .

فيبدو في مسلكه أكثر وحشية وظلماً وقساوة من الجلاد . فلماذا اذا هذا التناقض ؟

هناك سببان :

الاول : نرجسية المعتقد المميز عن باقي الشعوب الذي يعطيهم حرية القتل واستباحة أموال وأراضي الغير ، لأن هؤلاء في دنوية عنصرية لا يجوز لهم ان يعادلهم بالحقوق حتى ولو كان القانون والحق بجانبهم .

هذا بالإضافة الى أن النفس اليهودية لا يمكن أن تتعادل مع نفس من أديان أخرى ،

فإذا قتل يهودي يجب أن يكون هناك مقتلة في المقابل "وهذا ما يبيئه تبادل الاسرى" . فهذا الاختلال في المعادلة أدى في الماضي الى الاضطهاد التاريخي أينما حلوا . ويعود بالدرجة الاولى الى التمايز العنصرية النازية ادى الى كارثة المحرقة . لأن ادعاء الافضلية على باقي الشعوب عن طريق العنصرية النازية ادى الى كارثة المحرقة . لأن ادعاء الافضلية على باقي الشعوب عن طريق

النّرجسي يميل لاستغلال الآخرين ، ويستعملهم وسيلة لتحقيق أهدافه الخاصة ، بالإضافة إلى ذلك فإنه كلما يكون متعاطف مع الآخرين أو حساس لهم

واقع الحال عند النرجسي ، يتميز دائماً بغيبابه الاهتمام بالعالم الخارجي ، فهو يظن نفسه يعلم كل شيء ، و ما لديه من مخزون علمي ، وثقافي هو نهاية العالم الخارجي

هذا العنصر من الصعب فهمه الا من خلال التعمق والتأمل في ثقافة نرجسية مستوحاة من وطايا دينية وايدولوجية تأتي من مصادر مختلفة تحلل الثأر بالقتل بأفطع الوسائل ، فتبيح قتل النساء والطفولة ، و تعبث في كل شيء حي

العنصر ، ادت نزاع لابد ان يببب احدهم الآخر (حب الله ، 2009).

من هنا نفهم ان المسلك النازي تجاههم أصبح تنافسياً بل إغائياً . فاليهود يؤمنون بتفوق عرقي كهية الهية نزلت من السماوات ، والنازيون يعتقدون بتفوق العنصر النازي على باقي البشر ، يستمد شرعيته من النرجسية البيولوجية .

نتيجة هذه الصدام أدت الى اعتماد المسلك النازي تجاههم بأنهم النموذج الافضل لتكريس الاستكبار فانقلوا عندئذ في اللاوعي الاجتماعي من خانة الضحية الى خانة الطاغية المتفوق عليهم لأن طريقة ممارسته أخضعتهم وبدت انها الأنجع ، سيما ان التماهي بالجلاد يمكنهم من التحكم بمصدر القوة فيكرسونها لدعم المعتقد المتوارث بأنهم فعلا الشعب المختار من بين الشعوب .

"فرويد" كما هو معلوم كان يهودي الاصل ، ادرك في حياته التي انتهت في أواخر 1939، بعد ان بلغه اضطهاد الغيتو ، حاول برسالة اخيرة ، انقاذ الشعب اليهودي من هذا الاضطهاد التاريخي ، فكتب رسالته نكوصية سنة 1938 تحت عنوان "موسى والتوحيد " هدف الكتاب الذي لقي معارضة عنيفة من الجمعيات اليهودية العالمية ، هو تفكيك الهوام الذي كان يدفع الشعوب الى اضطهاد حفظا على قيمهم ودرء للدونية التي وصفوهم بها ، فاعتبر "فرويد" انه اذا ما استطاع ان يحرر اليهود من نرجسيتهم ، فيمكن ان يتصالحوا مع باقي شعوب البشر ويعيشوا بسلام .

نلاحظ كلما كان شعب يتماهى بأفضلية نرجسية كان اضطهاد اليهود اكبر ، اضعف الى ذلك انكار اليهود للمسيحية كدين شرعي ، لأن المسيح الذي يدعون ظهوره وكانوا سببا في صلبه ، لم يظهر بعد ، لأنه ليس الاصيل ..

فهذه المشكلة لم تظهر عند المسلمين ولم تؤد طيلة عيش اليهود معهم الى أي اضطهاد او محرقة من النوع الذي شهدناه في الغرب لان الاسلام كان عنده اعتقاد مسبق بشرعية الدين اليهودي وبالنبى موسى مؤسس التوحيد ، الا ان ما يجسده تنظيم الدولة للعراق والشام "داعش" منافي لذلك اذ يمارسون التكفير واقامة الحدود ببروتكولات غريبة على الفهم البشري ببيحوها لأنفسهم تحت تفاسير خاصة بعيدة كل البعد عن جوهر الدين ..

الثاني : اقامة الدولة اليهودية على ارض الميعاد التي تعود كما نعرف الى اسباب دينية توراتية ، فهي ارض مقدسة بالنسبة للأديان الثلاثة التوحيدية ، وهذه القدسية كانت سببا في الحروب الصليبية ومصدرا لمآسي لم يعرف شيمها التاريخ ، كذلك سببا في اقامة الدولة الاسرائيلية الحالية والمقدس هو كناية عن مكان رمزي محوري : لا يقبل التأويل او التغيير ، او النسوية : نصبه الانسان سواء اكان طوطم او اله ، كي يتحرر من عقدة الذنب الوجودية ، فهو طاهر ومطهر ، لا يقبل التلوث او الاعتداء ولا يقبل الغريب يحتوي في طياته اسراره هوية كل انسان ملتزم بمعتقداته ، فالغاء له هو الغاء وجود للمجتمع الذي يدور في فلكه . وبسبب هذه القدسية التي تغطي النرجسية المميزة ، رفض اليهود كل العروض عن بلدان بديلة ، ولكن مالم يؤخذ بالحسبان عاملان اساسيان :

اولا : العامل التاريخي الزمني

ثانيا : الشعب الذي يسكنها منذ بداية نهاية المملكة اليهودية في القرن الثاني الميلادي والذي يعود تاريخه الى الكنعانيين ، اي ما قبل ظهور الديانة اليهودية .

هذا الواقع التاريخي اصيب بالإغواء او الانعدام ، كأنه لم يكن ، فالقفز فوق التاريخ هو من العمليات المستحيلة ، لأن الواقعي اذا أنكرنا وجوده ، يعود ويتكرر الى حين الاعتراف به ، يقول

ان الحروب الدينية حافلة
بحصول اكبر الفظائع واشد
انواع التَّنكيل ، واستباحة كل
ممرمات القتل . اذ كل انواع
القتل تدخل هي اطار القربان
"ذبايح انسانية تقدم على
مذبح الهيكل الالهى"

من يطلع على التاريخ

اليهودي يتبين له ان الدين
هو في آن واحد هوية محرقية
وذاثية وانتماء وطني ، فلا
فصل بين الاثنين ، خلافا لكل
الاديان ولكل الاوطان

ما يجسده تنظيم الدولة
للعراق والشام "داعش" منافي
لذلك اذ يمارسون التكفير
واقامة الحدود ببروتكولات
غريبة على الفهم البشري
بيحوها لأنفسهم تحت تفاسير
خاصة بعيدة كل البعد عن
جوهر الدين ..

"جاك لاكان " : من لا نطاله يستحيل حله.

فإن اعترفت اسرائيل على سبيل المثال بالواقع يجب أن تعترف بالحقوق الفلسطينية ، ويتطلب منها ذلك الى الاستغناء عن ربط القدس بنرجسية الوجود وان انكرت هذا الواقع ، سيعود هذا الواقع بشكل جنون وهذيان عسكري كما نراه الآن يترجم بلا منطق عقلائي . وقد نوه الى هذا الموضوع ادغار مورين : وهو يهودي عندما قال سينتهي جنون اسرائيل برمي مخزونها النووي على عواصم العالم العربي ، قبل ان تقلهم البواخر عائدة بهم الى بلاد الغرب . عقدة التفوق النرجسي تدعم عقدة التفوق العسكري ، المغتصب الذي لا يملك الحق يشعر دائما بالخطر والتهديد ، واستمرار وجوده يبقى دائما مرهونا بتفوقه العسكري معركة غزة تدخل في هذا السياق اضافة معارك القصير ومعارك حلب والرمادي ومعركة كوباني وما يحصل في صنعاء والمدن اليمنية

ولكن ما يجعله القتل ان قتل الابرياء والاطفال لا يصب في خاتمة الكسب العسكري ، انما هي عملية انتحارية تؤدي الى قتل الذات واثارة الرعب والخوف في شرائح شعبه ، اكثر من صواريخ الكاتيوشا التي تتساقط .

ما هو الهدف من هذا القتل المتواصل ؟

ان اغتصاب الارض واعتبارها ارضا بيضاء لم يكتب عليها تاريخ وخالية من السكان ، فلذلك بعد اغتيال الزمن يجب ازالة الشعب الذي يسكنها ، لأنه شاهد على هذا التاريخ والغاء حقوقه عبر ممارسة العنف عليه بشتى الوسائل وتشتيته في شتى أنحاء المعمورة ، تماما كما حصل لليهود منذ الفي سنة .

يتحكم في هذا المسلك تمه مزدوج : اليهود الذين تماهوا في النازية ووضع الشعب الفلسطيني في المكان الذي كانوا يحتلونه سابقا . اضافة الى تسخير الدول المجاورة لخدمتهم ، كما كان يفعل النازيون في السابق بالنسبة للأجناس غير الآرية .

إن المشاهد المتواصلة للقتل والتدمير التي نراها على شاشات التلفزة المختلفة العربية والاجنبية ، كان من آثارها أن نمت العداوة والكراهية في النفوس لدى أفراد الشعب الواحد ، وحتى بعض الشعوب الاوربية والامريكية ...

كما غاب عن نظرهم ان ارتكاب الجرائم والتوغل في القتل والدمار انما يؤسس لتهديد القوى المحاربة ، لان المشهد الدراماتيكي اصبح بمثابة المرآة النرجسية لهم.

فكيف يمكن بعد ما حصل من كوارث ، ان يعيشوا باطمئنان وسلام ، مع شعوب تكن لهم الكراهية والبغضاء ؟ وكيف يمكن ان يتصالحوا مع شعب عانى منهم كل انواع التعذيب والقتل ؟ اليس هذا نوع من النرجسية القائلة ؟

العنف دائما اذا لم يكن هدفه الدفاع عن النفس ، له مفعول مزدوج ، على الضحية من ناحية وعليه من ناحية اخرى .

فقتل الآخر يؤدي الى الغاء الذات الناطقة : فكيف يمكن للإسرائيلي مثلا ان يحافظ على وجوده ويلغي الآخر الذي من دونه . لا يمكن الحصول على الاعتراف بهذا الوجود (حب الله ، النرجسية القائلة ، 2009) .

وكيف يمكن الاستمرار في الحياة ، وقتل مصادر الحياة واستمرارها ؟، فعندما يقتلون اطفال سوريا مثلا ألا يعرفون انهم يقتلون اطفالهم ، لان الضمير الانساني لا يميز بين طفل وآخر مهما كان

القهر فوق التاريخ هو من العمليات المستحيلة ، لأن الواقع اذا أنظرنا وجوده ، يعود ويتكرر الى حين الاعتراف به ، يقول "جاك لاكان " : من لا نطاله يستحيل حله.

إن اعترفت اسرائيل على سبيل المثال بالواقع يجب أن تعترف بالحقوق الفلسطينية ، ويتطلب منها ذلك الى الاستغناء عن ربط القدس بنرجسية الوجود وان انكرت هذا الواقع ، سيعود هذا الواقع بشكل جنون وهذيان عسكري كما نراه الآن يترجم بلا منطق عقلائي

المغتصب الذي لا يملك الحق يشعر دائما بالخطر والتهديد ، واستمرار وجوده يبقى دائما مرهونا بتفوقه العسكري

جنسه ولا بين امرأة واخرى ، فكلاهما مصدر انساني للحياة ..

فعمل الابداء ، وما يستتبعه يدور في فلك هذه العنصرية الطائفية أو العنصرية النرجسية السياسية ، ويبقى السؤال : هل سيكتب لهؤلاء الحياة بعد نهر الدماء الجاري اليوم ؟، وهل ستضمن استمرارية الكيان الاسرائيلي في محيط عربي اسلامي نمت عنده الكراهية ، والدعوة للتأثر والانتقام الذي يكرس له في منطقتنا ، الذي هو نداء مستهجن في أمة لا تؤمن بالعنصرية ، وتدعو دائماً الى الاخوة والاعتراف بالآخر .

إذ : "لا فرق لعربي وأعجمي الا بالتقوى "

ما يحصل يعيد الافكار لأواليات عدمية مؤداها الوحيد استئصال النرجسية القاتلة ، بسبب الانغلاق والتطرف في النظر للأمور من كل طرف من أطراف الصراع ، بعيداً عن كل ما يمت بصلة للقيم الانسانية .

مما تقدم نجد أن الأنا النرجسية تتكون بدءاً من الطفولة ، ولكن آثارها السلبية الواضحة لا يمكن ان تختفي في البلوغ ، لاسيما عند ظهور معالم الجسد عند الجنسين بفعل البلوغ ، وبدء عمل الهرمونات الجنسية..

وفي كل الحالات تبقى الوقاية اهم وسيلة للحد من النرجسية ، من خلال التنشئة التربوية السليمة المتوازنة التي تؤكد على منح الثواب على السلوكيات الصائبة ، و العقاب على السلوكيات الخاطئة ،كل ذلك بأسلوب حكيم ومتابعة أسرية واعية ،وعبر هذه الاساليب التربوية تُفسح للموهوب المجالات لإخراج موهبته ، وتنم رعايته بالعقل والتوجيه ، وتجنبه انتقام من الذات..

وهنا السؤال يبدو وجيهاً ، عند الحديث عن تشكل الشخصية النرجسية؟

إن الدراسات العديدة حول تشكل الشخصية النرجسية ، تظهر أنها تتكون نتيجة تثبيت السلوك على مظاهر معينة من سن مبكرة ، ولاسيما في سنوات الطفولة المبكرة ما بين (الرضاعة وعمر ثلاث سنوات) إذ يتركز النمو النفسي على مظاهر محددة لا تبرحه الشخصية مهما تقدم بها الزمن ، بمعنى ان هذا النمو لم يتح له العبور ، من حيز الانا الجسدي الى حيز الانا الاجتماعي ، من حيث أن الطفل يعي ذاته كشيء منفصل عن العالم المحيط به ، ويبدأ في الاحساس بأهميته ، وان العالم يدور حوله ، وهو المحور لكل الامور . لهذا نرى الطفل الصغير يردد عبارات من مثل : كل شيء لي ، هذا ملكي ، ويكثر من لفظ انا الملكية في غالب كلامه ..

فالنرجسي وبسبب هشاشة تقدير الذات الناتج عن عدم تدعيم لانا ، هو شخص غير متكيف ، وبذلك ينشأ عن هذه الشخصية فشل معمم اجتماعي وظيفي ، ومعاناة ذاتية بسبب حب الذات الذي لا يشبعه الا بتجاهل الآخرين من كونه يستغزه كثرة النقد ، فهو لا يعنيه إلا المديح ، وكلمات الاعجاب

ان مفهوم الذات يمثل صورة الفرد التي يحملها عن نفسه ، وله أهمية على سلوكه ، لأن السلوك يعكس ما يتمتع به الفرد من اتجاه نحو ذاته ولصفاته الشخصية ، فالفرد الذي يدرك نفسه بطريقة ايجابية فإن سلوكه غالباً ما يكون انعكاساً لهذا الإدراك الايجابي .

إن التربية تلعب دوراً هاماً في نمو مفهوم ايجابي للذات ، ونشير بهذا الصدد الى درجة تقبل الوالدين للطفل ، ومدى تأثيرها في مفهومه لذاته وادراكه لنفسه على اساس انه متقبل ومحبوب .

ان مفهوم الذات الذي يطوره الفرد يؤثر حول نفسه ، ويؤثر في كيفية ادراك الفرد للبيئة

لكن ما يجعله القاتلة ان قتل الأبرياء والأطفال لا يصعب في خاتمة الكسب العسكري ، انما هي عملية انتحارية تؤدي الى قتل الذات واثارة الرعب والخوف في شرائع شعبه ، أكثر من صواريخ الكاتيوشا التي تنساق

إن المشاهد المتواصلة للقتل والتدمير التي نراها على شاشات التلفزة المختلفة العربية والاجنبية ، كان من آثارها أن نمت العداوة والكراهية في النفوس لدى أفراد الشعب الواحد

ان ارتكاب الجرائم والتوغل في القتل والدمار انما يؤسس لتهديد القوى المحاربة ، لأن المشهد الدراماتيكي اصبح بمثابة المرأة النرجسية لهم

كيفه يمكن بعد ما حصل من كوارث ، ان يعيشوا باطمئنان وسلام ، مع شعوبه تكن لهم الكراهية والبغضاء ؟ وكيفه يمكن ان يتصلحوا مع شعبه لعانى منهم كل انواع التعذيب والقتل ؟ اليس هذا نوع من النرجسية القاتلة ؟

المحيطة ، كما يساعده هذا المفهوم في تنظيم خبراته البيئية .

لمفهوم الذات أهمية في عملية التوافق النفسي (التكيف) ، حيث ان الصورة الايجابية التي يحملها الفرد عن نفسه تساعده في عملية التوافق والتوتر وسائر الاضطرابات النفسية .

تشمل الذات على ابعاد مختلفة تشمل جوانب الحياة الاجتماعية والجسدية والاسرية والاكاديمية ، والوجدانية "الانفعالية" والقدرات الخاصة ، وتشتمل عملية العلاج النفسي على تحسين نظرة واتجاه الفرد نحو ذاته ، وزيادة تقبل الفرد لنفسه كما هي عليه .

باعتبار الأنا هي الجزء العقلاني من الشخصية فهو يشرف على العمليات العقلية والادراكية ويشرف الحركة والادارة وهو المتكفل بالدفاع عن الشخصية وتوافقها وحل الصراع بين مطالب الانا الاعلى وبين الواقع .(نظريات الشخصية ، 1976)

إن أعقد أشكال النرجسية تلك التي يحققها منصب اجتماعي أو سياسي لشخص ما ، حيث يجعله هذا المنصب يشعر بالتعالي على المواطنين من جمهرة الناس ، ويرى فيهم عوام وراعايا قد جبلوا من طينة غير طينته ، بل غالباً ما تطغى النرجسية والتعالي هنا ليرى المرء نفسه متعالياً حتى على زملائه وأهله .

في مثل هذه الحالة من النرجسية سيرى النرجسي نفسه معزولاً عن محيطه الاجتماعي ، وتكون الطامة الكبرى عند فقدانه منصبه الاجتماعي ، أو مكانته السياسية حيث تتحقق عزلته عن محيطه الاجتماعي ليس برغبته هو كمسؤول فقد مكانته الاجتماعية أو السياسية، وإنما برغبة الآخرين الذين تعالي عليهم فكان رد فعلهم تجاهه لنرجسيته اتجاههم .

فقد لاحظ كيرنبرج،(1984) ان تنظيم الانا الاعلى لدى الشخصية النرجسية غير منطور under deve loped وغير ناضج immature وعن طريق التأمل في التفاعل بين الانا الاعلى غير الناضجة والذات العظيمة الباثولوجية فيحدث عدد من الاعراض الاكلينيكية ، المعبرة عن البنية القمية للشخصية النرجسية narcissistic tllis ، من ملامح هذه الاخلاق الفقر الاخلاقي ، والذي يتمثل في غياب المثل العليا الناضجة :

- العظمة كرد فعل اولي للشعور بالقيمة
- الكذب الباثولوجي
- ضعف الضمير
- اتجاه الافضلية
- الارتباب الاخلاقي من الاخرين
- الاخلاقيات الزائفة المضللة من الآخرين

ويقصد بها ملامح لا اخلاقية داخلية ، مثل الحسد الشديد والعدوانية وقابلية الفساد ، وهي ملامح تناقض المظهر البراق ، ورغم وجود هذه الملامح الا ان الشخص النرجسي يتمتع بحماس ظاهر للقضايا والمسائل الاخلاقية ، ويعكس صورة انسان ذي اخلاق عالية ، من حيث الاهلية والتمركز حول الذات (البحيري ، 188) .

ما يميز النرجسيون انهم يستجيبون بغضب ودهشة عندما لا يسلك الاخرون بالطريقة التي لا يريدونها هم (التمركز حول الذات ego centricty)

عندما يقتلون اطفال سوريا
مثلا الا يعرفون انهم يقتلون
اطفالهم ، لان الضمير الانساني
لا يميز بين طفل وآخر مهما
كان جنسه ولا بين امرأة
واخرى ، فكلاهما مصدر
انساني للحياة ..

يبقى السؤال : هل سيكتف
لهؤلاء الحياة بعد نصر الدماء
الجاري اليوم ؟ وهل ستضمن
استمرارية الكيان الاسرائيلي
في محيط عربي اسلامي نمت
عنده الكراهية ، والدعوة
للثأر والانتقام الذي يكرس
له في منطقتنا ، الذي هو
نداء مستهجن في امة لا تؤمن
بالعنصرية ، وتدعو دائماً الى
الاخوة والاعتراف بالآخر

تبقى الوفاية اهم وسيلة للحد
من النرجسية ، من خلال
التنبهنة التربوية السليمة
المتوازنة التي تؤكد على
منع الثواب على السلوكيات
الصائبة ، و العقاب على
السلوكيات الخاطئة

الفرد الذي يدرك نفسه
بطريقة ايجابية فإن سلوكه
غالباً ما يكون انعكاساً لهذا
الادراك الايجابي .

فالإيثار Altruism المفاجئ لديهم ، لا ينبع من اقتراب ودّ حقيقي مع الآخرين ، وإنما اسقاط التّعظيم النرجسي على البيئة ، التّمرّكز حول الذات وضعف الضّمير ، والادمان الباثولوجي للإطراء (بيلا غرانبرغر، 2000) .

أما العلاقات البين شخصيّة لدى النرجسيين فتتشكل من خلال الذات العظيمة والذات الحقيقية ، والانا الاعلى غير الناضجة ، فمن خلال الاحساس بأهمية الذات العظيمة ، يصرّ النرجسيون على كفاءاتهم الذاتيّة وفضليّتهم ، ويعبون صراحة عن محبتهم المبالغة لذواتهم ، مما يؤدي بهم الى افتقار المشاركة الوجدانية وعدم احترام حقوق الآخرين ، وظهور البرود الانفعالي في التّعاملات الشخصيّة ، وتبدو ملامح تلك العلاقات والتي تتشكل من خلال الذات العظيمة في اختيار الموضوع النرجسي ، إذ عندما تبني الذات نفسها ، تستخلص عناصر من الواقع ، فتحولها الى رموز في بناء الذات ، فمثلا عندما يسمع الطّفل نداء امه نجده يستجيب ، فهناك قبول التّدي وتحويله الى الدال (كلمات 2، 146)

أما "فرويد" فيؤكّد على أن آلية الكبت التي ينكص بها الليبيدو الى الطّور النرجسي ، ان الذين يعانون من الزور ، اي البارانويا لديهم تثبت على الطور النرجسي (كلمات 2، 143) .

ولذلك الحالة النرجسية (السلطوية) في التّعاطي مع الشّأن العام هي عكس الحالة الديمقراطيّة ، فطريق الديمقراطيّة طريق آخر ، طريق مختلف تمام الاختلاف ، انه طريق الاقلاع عن النرجسية الاولى ، التي يتمثل في الانغلاق الكامل حول الذات ، والتي تنتهي الى ضرب من الانا وحديّة بماهي موت للإنسان بما هو انسان ، بما هو انس ومؤانسة بما هو موجود في حضرة الآخرين ، طريق الديمقراطيّة هي طريق الاعتراف بالآخر ، بما هو خطر يهدد الذات ، وانما هو وجود حر ، وجود قائم بذاته ،(التحليل النفسي وقضايا العالم الثالث ، 141) .

ورغم ان طريق الديمقراطيّة ، كما يتضح من المشهد السّياسي الحاضر أمامنا في السّنوات الاخيرة في أغلب البلدان العربيّة ، هو طريق طويل ، لكنه هو طريق الانسان في مسيرته نحو البحث عن ذاته ، والسّعي الى تحقيقتها وتطويرها والتّقدم الارتقائي بها .

فالعيش وفق مبدأ الديمقراطية في الانسان انعكاس لنمط فكري ووجود ووعي وحياة هي موقف من النفس والغير لتصبح بنبان عقلي مميز للمنطق الانساني ..(فرج احمد فرج ، 140) .

أخيرا من المهم القول : أن المواقف النرجسية الأكثر خطورة وتعقيداً ، هي تلك التي تمتلك المثقف أو الأديب الذي اكتسب قدرات ومهاراتٍ عاليةٍ ، في التّعامل مع الكلمة التي خلّقت لتوعية الآخرين وإرشادهم إلى القيم الإنسانيّة ، من حبٍ وعدلٍ وخيرٍ وتعاونٍ ...

حيث ان المثقف ، يمتلك المقومات التي تؤهله لقيادة المجتمع، وهذا ما برز بوضوح منذ بدء التّاريخ القديم و دعوة أفلاطون لأن يكون الفيلسوف علي رأس السلطة السّياسية ، هي : أول دعوة تذكرها لنا كتب التّاريخ .. ومن ثمّ الدّعوة الواقعيّة "لأرسطو" للعمل التّكاملي بين المثقف والسلطة ، من حيث أن المثقف يمتلك رؤي ثاقبة ، ولديه مقدرة هائلة تؤهله للقيام بالتحليل والتّركيب إزاء أي ظاهرة ، أو حدث، أو موقف، ولعل رؤاه تتسم علي الغالب بقوة البصيرة ، ومقاربة الموضوعيّة ، كذلك ان المثقف الذي يمضي جل ساعات يومه ، وهو ينهل من بطون الكتب ، ويكون ثقافة واسعة ، ومعارف ثره ، غير موجودة البتة عند غير المشغول بالثقافة ، والجاهل بها، مما يمنحه آفاقاً لامتناهية تدفعه للانحياز إلي ثقافته ، ومعارفه ، وسعة مداركه بل وذاته مقارنة مع هذا الآخر ، وهذا ما يجعله يتدرج شيئاً فشيئاً نحو حب الذات ، ثم الشّعور بالتّمايز عن الآخر، وربما دونيته في مواقع وحالات معينه ، وقد يتضخم بالتالي هذا الإحساس لاسيما أمام رفض الآخر له ، أو الاستعلاء عليه ، بكل ما

ان مفهوم الذات الذي يطوره الفرد يؤثر حول نفسه ، ويؤثر في كيفية ادراك الفرد للبيئة المحيطة ، كما يساعد هذا المفهوم في تنظيم خبراته البيئية

إن أعقد أشكال النرجسية تلك التي يحققها منصب اجتماعي أو سياسي لشخص ما ، حيث يجعله هذا المنصب يشعر بالتعالي على المواطنين من جمرّة النّاس ، ويرى فيهم حوام ورجايا قد جيلوا من طينة غير طينته

ان تنظيم الانا الاعلى لدى الشخصيّة النرجسية غير متطور under deve loped ونموذج immature ونموذج طريق التّأمل هي التّفاعل بين الانا الاعلى غير الناضجة والذات العظيمة الباثولوجية فيحدث محدد من الأعراض الاكلمينيكية

أما "فرويد" فيؤكّد على أن آلية الكبت التي ينكص بها الليبيدو الى الطّور النرجسي ، ان الذين يعانون من الزور ، اي البارانويا لديهم تثبت على الطور النرجسي

يملك من قوة ، مما يدفعه بالتالي إلي مهاوي النرجسية ، كرد فعل علي هذا الإهمال والتهميش والاستعلاء غير المسوّغ ان دراسة متأنية لسيكولوجية الانسان هذه ، تظهر إنها حالة غير سوّية علي مستوى الفرد والجماعة ، من كونها تنتج خللاً داخلياً ، وتعرقل النّم، وتمنع فرص التّقدم ، فلا بد من معالجة أسبابها ، والسعي لتجاوزها ، لأنه عادة ما تكون الشّخصية النرجسية ثقيلة الظل علي الآخرين ، وتواجه أصحابها الكثير من التّوترات في علاقاتهم الاجتماعية ، التي ترتد علي نفسيّتهم بالآلام والجراحات ، ومن ثم علي مجتمعهم..

تم الرجوع لإجاز مراجع هذا المقال

- 1 - البحري ، عبد الرقيب (2007) : الديناميات الوظيفية للشخصية النرجسية ، مكتبة الأنجلو المصرية ، ط1.
 - 2- صفوان ، مصطفى (1958) : شخصية الجانح في ضوء النظريات التحليلية النفسية ، مجلة الصحة النفسية (1) العدد (1) يناير.
 - 1- حب الله ، عدنان (2009) : النرجسية القاتلة ، للعدو الاسرائيلي اللقاء العلمي الأول لمركز الاوائل للتأهيل النفسي التربوي في دمشق ، تموز .
 - 2- لور تيبودو(2010) : كليمات الكتاب الثاني ، اعداد رفاه ناشد ، مطبعة دار أمية ، طبعة أولى .
 - 3- النرجسية (2000) : بيلا غرانرغر ، ترجمة وجيه أسعد ، سلسلة دراسات نفسية 42، وزارة الثقافة ،دمشق .
 - 4- هنري و لندي ،نظريات الشخصية ، ط2، ترجمة فرج أحمد فرج وآخرون ، الهيئة العامة للكتاب ، القاهرة ، 1976، ص599 .
- Lowen:Narcissm Denial of the True self ,New yor; .1985

*** **



النشرة اليومية "الإنسان والتطور"

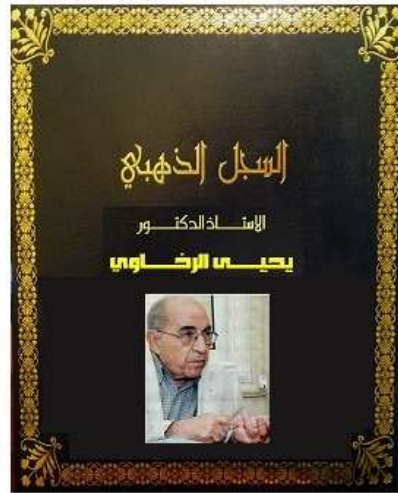
تدخل عامك التاسع

وتطفئ شمعةك الثامنة



أجمل

التكائمي



التكريم الحقيقي هو

ان تصل الكلمة الي اصحابها...

وحتى نشارك الجميع في هذا التكريم ادعو من كل من عرف
الاسناذ الرخاوي (.. انسانا اسناذا.. عالما.. طبيبا.. اديبا.. صاحبا.. إخا.. إبا.. زوجا
رفيقا.. زميلا..).. ان "يدون كلمة" في حق هذا المالع العربي / العالم
الكبير..

العيش وفق مبدأ

الديمقراطية هي الانسان
انعكاس لنمط فكري ووجود
ووعي وحياة هي موقفه من
النفس والغير لتصبح بنيان
عقلي مميز للمنطق الانساني

ان المثقف ، يمتلك المعلومات
التي تؤهله لقيادة المجتمع.
وهذا ما يبرز بوضوح منذ بدء
التاريخ القديم و دعوة
أفلاطون لأن يكون الفيلسوف
علي رأس السلطة السياسية